عنوان البحث: التحدي المغولي وسقوط الدولة العباسية في العراق

الباحث الأول: أ.م.د. إسراء طارق حمودي
مكان العمل: جامعة الأنبار/كلية التربية للعلوم الإنسانية
الإيميل: ed.isra.tariq@uoanbar.edu.iq
تاريخ النشر: جمادى الآخرة 1447 هـ / تشرين الثاني 2025

الباحث الثاني: أ.د. أحمد طارق حمودي
مكان العمل: جامعة سامراء/كلية الآداب
الإيميل: ahmed.tareq2@uosamarra.edu.iq
تاريخ النشر: جمادى الآخرة 1447 هـ / تشرين الثاني 2025

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة شاملة لطبيعة التحدي المغولي الذي واجه العالم الإسلامي في القرنين السادس والسابع للهجرة، مع التركيز على الأسباب التي أدت إلى سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة 656هـ. يعرض البحث أصول المغول وخصائص مجتمعهم البدوي، والعوامل البيئية والسياسية التي دعتهم إلى التوسع غربا. ويتناول المواجهة بين الدولة الخوارزمية والمغول، والعوامل التي أدت إلى انهيارها على الرغم من محاولات جلال الدين منكوبرتي في مقاومة الزحف المغولي. ويبرز البحث ضعف البنية السياسية والعسكرية للخلافة العباسية في عهد المستعصم بالله، وتفاقم الانقسامات الداخلية، ودور الوزير ابن العلقمي والقوى الفئوية في إضعاف الجبهة الداخلية. ويسلط الضوء على الاستعدادات المغولية وقوة تنظيمهم، التي أدت في نهاية المطاف إلى حصار بغداد وسقوطها وما ترتب عليه من نتائج حضارية وسياسية. ويخلص البحث إلى أن سقوط الدولة العباسية لم يكن وليد القوة المغولية وحدها، بل نتيجة تراكم طويل من الضعف الداخلي والتفكك السياسي، الذي جعل الخلافة عاجزة عن مواجهة أكبر تحد عسكري في تاريخها.

الكلمات المفتاحية: المغول، الخلافة العباسية، سقوط بغداد، جلال الدين منكوبرتي، هولاكو، الدولة الخوارزمية، التوسع المغولي.

Al Malweah
for Archaeological
and Historical Studies

Vol 12, Issue 42, Nov 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

Search title: **The Mongol Challenge and the Fall of the Abbasid Caliphate in Iraq**

The first researcher: **Profe. Dr. Israa Tariq Hammoudi**

Workplace: **University of Anbar /College of Education for Humanities**

Email: **ed.isra.tariq@uoanbar.edu.iq**

Publication date: **November 2025**

The second researcher: **Prof. Dr. Ahmed Tariq Hammoudi**

Workplace: **University of Samarra / College of Arts**

Email: **ahmed.tareq2@uosamarra.edu.iq**

Publication date: **November 2025**

Abstract:

This research provides a comprehensive study of the nature of the Mongol challenge that confronted the Islamic world in the sixth and seventh centuries AH, focusing on the reasons that led to the fall of the Abbasid Caliphate in Baghdad in 656 AH. The research presents the origins of the Mongols and the characteristics of their nomadic society, as well as the environmental and political factors that drove their westward expansion. It also examines the confrontation between the Khwarazmian Empire and the Mongols, and the factors that led to its collapse despite Jalal ad-Din Manguberdi's attempts to resist the Mongol advance. The research highlights the weakness of the political and military structure of the Abbasid Caliphate during the reign of al-Musta'sim Billah, the exacerbation of internal divisions, and the role of the vizier Ibn al-Alqami and factional forces in weakening the internal front. It sheds light on the Mongol preparations and the strength of their organization, which ultimately led to the siege and fall of Baghdad and the resulting cultural and political consequences. The research concludes that the fall of the Abbasid state was not solely due to Mongol power, but rather the result of a long accumulation of internal weakness and political fragmentation, which rendered the Caliphate incapable of confronting the greatest military challenge in its history.

Keywords: **Mongols, Abbasid Caliphate, Fall of Baghdad, Jalal ad-Din Manguberdi, Hulagu, Khwarazmian Empire, Mongol expansion.**

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الاسباب وقرنها بالمسببات، ورفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا بالاعتصام بحبله المتين، ونهانا عن التفرق والاختلاف، اذ جعل في الاتحاد قوة، وفي التفرق والاختلاف ضعف ومهانه، وأشهد أنه (جل وعلا) قد أكرمنا بالنصر والتمكين، ما تمسكنا بقوله، ودينه وشريعته، فقال: ((ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (سورة الانفال، الآية 53).

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رسم لنا معالم الطريق وحثنا على الوحدة ونهانا عن التفرق

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم

وبعد.

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فعندما كان الجهاد، دعوة وبلاغا في سبيل الله، وسع على الأمة سبيلها، وأمن لها طرقها، فانطلقت في مشارق الأرض ومغاربها، كان جندها في نزهة، ولما تغيرت النوايا واختلفت القلوب، تقاطعت السيوف واختلت العقول، فكان التغيير سلبيا هذه المرة فأدى إلى أن شهد العالم الاسلامي تحديات رهيبة منذ وقت مبكر، كان سببها الابتعاد عن المنهج الرباني، الاعتصام بحبل الله المتين، ومن هذه التحديات الكثيرة التي رافقها ضعف الإدارة وتسلط الأجنبي وقيام ممالك وإمارات إسلامية متناحرة في أماكن شتى من أرض الخلافة الإسلامية التي وسعت العالم في قرن من الزمان، من مشرق الدنيا لأقصى الغرب. ومن هذه التحديات:

التحدي المغولي للخلافة العباسية، وهو عنوان دراستي هذه للإسهام ولو بالحد الأدنى من معرفة الأسباب المباشرة للاختلاف، والتفرق، والنتائج المترتبة على ذلك، في هذا التحدي كأنموذج لما حل بآلاف من نكبات متتالية.

تتكون هذه الدراسة من ثلاثة مباحث بعد هذه المقدمة، أتبعتها بخاتمة أوجزت فيها أهم ما توصلت اليه في دراستي.

تحدثت في المبحث الأول عن المغول أصلهم، وموطنهم، ونمط حياتهم وأسلوب معيشتهم، وما آل إليه أمرهم من انسياح في الأرض طلبا للمال والعيش الرغيد على حساب الآخرين بوسائل مرفوضة حضاريا؛ لما فيها من غدر وسطو وتخريب وتقتيل، وسرقة واعتداء.

كان جنكيز خان أبرز ملوكهم، وتلاه هولاكو في قسوته وبطشه وجبروته.

وتحدثت في المبحث الثاني عن الدولة الخوارزمية، وجهودها في التصدي للمغول، التي أودت بدولتهم في ساحات الوغى، مع أن دولة مثل الصين، تقهقرت أمام المغول.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن المغول والخلافة العباسية التي لم تكن مؤهلة للقاء المغول كمؤسسة إدارية ودينية عسكرية، تكالبت عليها قوى التسلط الأجنبي والطائفي، ولم يبق لها سوى الاسم فلا حول للخليفة ولا طول، فضلا على وقوف الدويلات المستقلة، أو الإمارات التابعة للخلافة موقف المتفرج، دون دعم ولا اسناد، ولا استنكار.

لقد تصدى آخر خلفاء بني العباس للمغول في هجماته على أرض الخلافة، وحقق انتصارات رائعة على المغول في تكريت، ولم يتلق الخليفة دعما من الدويلات أو الإمارات التابعة له، او المستقلة ، ومما زاد الأمر سوءا ابن العلقمي الذي هون على المغول أمر الخلافة، وأخيرا سقطت بغداد بأيدي المغول سنة 656هـ، وكان الخليفة وبعض خاصته، وابن العلقمي، أول من قتل فيها، ثم امتدت إلى بغداد الأيادي الأثمة بالحرق والتدمير والقتل.

أملا أن تكون دراستي قد حققت الحد الأدنى مما أردته، من الوصول إلى بعض الحقائق في هذا التحدي، وكما أثبت في الخاتمة والله الموفق، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: المغول دراسة في النشأة والتسمية

من القبائل التركية، التي يطلق عليها اسم التتر. (التتر، جبل بأقاصي بلاد المشرق، شمال الصين، وهم المغول أيضا ويسميهم بعض الكتاب المغل. (الزبيدي، (د.ت)، ص278؛ الانسكوميديا البريطانية، 1979م: ج12/ص370)، أو المغل، والتي ترتبط مع بعضها بلغة مشتركة، وبتراث بدوي مشترك (فوزي، (د.ت)، 119)، وموطنهم الأصلي هضبة منغوليا، [1] التي تمتد إلى الجنوب من سهول سيبيريا، [2] وإلى الغرب من منشوريا [3] وتقع صحراء كوبي[4] ومرتفعات التبت[5]، جنوبها، في حين يحدها من الغرب تركستان، [6] أما مناخها فهو

(1) **منغوليا:** هي المنطقة الممتدة من سهول سيبيريا نحو الجنوب حتى حدود الصين (الصياد، 1960، ص10).
(2) **سيبيريا:** تقع شمال وشمال شرق الصين، تتبع الآن روسيا، أو الاتحاد السوفيتي سابقا (فهمي، 1981م، ص12؛ الانسكوميديا البريطانية، 1979م، ج1/ص44).
(3) **منشوريا:** من المناطق المجاورة لسيبيريا، شمال الصين. (الصياد، 1996، ص10-11).
(4) **كوبي:** صحراء واسعة، شمال الصين وجنوب سيبيريا ومنشوريا (فهمي، 1981، ص12).
(5) **التبت:** شرقي الهند وإلى الغرب من الصين (الحموي، (د.ت)، ج2/ص24).

قاري قاسي، إذ إن حرارته في الصيف عالية جدا، وقد تصل إلى 60 مئوية مع ما في فصل الصيف من قصر، والبرودة أشد قسوة، لطول فصل الشتاء، وتجمد الانهار ومياه المنخفضات، فضلا عن العواصف الثلجية (فهمي، 1981، ص12).

عاش المغول، قبائل متنقلة، على النمط البدوي في نظام قبلي جعل الأسرة أساسها والانتقال والحركة وسائلها طلبا للماء والكلأ، والدم أوثق روابط الاسرة، التي جعلت الأب عنوانا لها تحمل اسمه، وليس لأفرادها وظيفة أو وظائف محددة، إنما يكون الاستعداد والعمل الدائب والتدريب وسائل لجعل كل فرد محاربا مستعدا لتلبية نداء القبيلة إذا ما استدعته لذلك، لقد امتهنت هذه القبائل الرعي، تمارسه في أثناء تنقلها في إقليمها أو الأقاليم المجاورة لها، وتمارس الصيد كوسيلة مهمة للعيش، وهناك إشارة إلى ممارسة بعض القبائل الزراعة، وإن كان ذلك بصورة محدودة جدا؛ لعدم ملاءمة الظروف المناخية والتضاريسية للزراعة التي تتطلب نوعا من الاستقرار(ساوندرز، (د.ت)، ج12/ص370).

لقد كانت هذه القبائل، المغولية غير مترابطة، ولا تجمعها دولة واحدة وليس لها ملك أو حاكم إنما كانت السيطرة فيها للمتغلب الأقوى والأكثر عددا في مقاتليه؛ ولذلك كانت الائتلافات قابلة للتغيير، أو التبديل؛ ولذلك كانوا في قتال وحروب مستمرة وقودها الرجال، وهدفها جمع الأموال والقطعان، ولو بالقوة، أو السرقة التي كانت عندهم نوعا من الشجاعة والمهارة (سيولر ب، 1969، ص2)، وكان من أبرز تجمعات المغول وأحسنها تنظيما، وأكثرها نفيرا ما تم على عهد جنكيز خان الذي جمع تلك القبائل، ووحدها عسكريا وامتلك قيادتها (سيولر ب، 1969، ص370).

جنكيز خان:

واسمه الأول تيموجين، المولود سنة 558هـ/1163م، وأبوه زعيم لاتحاد قبلي كبير ضم عددا من قبائل وأسر المغول في تلك المدة، بزعامة قبيلته ذات الماضي العريق والقوة المتميزة (سيولر ب، 1969، ص370). مات والده وهو في الثالثة عشرة من عمره، وأدى موته إلى تفكك وتحلل ما بناه من اتحاد، وحاولت قبيلته التخلص من هذا الصبي، وترشيح زعيم آخر، لكنه استطاع بمساعدة أمه، وإصرارها، ومقدرته وشجاعته الثبات والامساك بزمام قبيلته، ولم شملها والتصدي لعوامل الفرقة فيها، ثم ظهرت براعته وقوته، وبرزت صفاته كمحارب قوي وسياسي متمكن استطاع تشتيت أعدائه والتفوق عليهم، بل ويتغلب عليهم، فضلا عن فهمه لطبائع الرجال، مركزا على كسب القبائل ومحبتهم له، ورضاهم عن شخصيته

(6) **التركستان:** اسم جامع لبلاد الترك، ثم تحولت الى دولة شمال الصين، نالت استقلالها من ثلاثة عقود. (الحموي، (د.ت)، ج2/ص25).

وقيادته التي أدت إلى احتواء القبائل البدوية ولم شملها في منغوليا وتركستان، منذ مطلع سنة 603هـ/1206م، وقد اتخذ لنفسه مجموعة انتخبها من بين محاربي المغول وأشدائهم، وجعل منهم قادة اعتمد عليهم في حروبه الشرسة مع الشعوب المجاورة(سيولر ب، 1969،ص176-177)، وبحث جنكيز خان بعد أن ازدادت قوته عن متنفس ومخرج من ظروفه الاقتصادية الصعبة، فكان انسحابه وقبيلته جنوبا باتجاه المناطق الدافئة، سببا لأول اصطدام له مع الصين التي تصدى امبراطورها للمغول، ولكنه لم يفلح في أول لقاء حزبي مع المغول سنة ٦٠٨هـ، بل إن جنكيز خان حقق انتصارات متتالية على جيش الامبراطور، وتقدم حتى ما وراء سور الصين الشهير، واستمر في تقدمه حتى احتل بكين سنة ٦١٢هـ (فهمي، 1981م، ص32-33)، واتجه المغول بقيادته صوب الغرب، وكان أول لقاء حربي له مع ملك القرة خطائين،[7] انتهت بالقضاء عليها تماما سنة ٦١٥هـ، والتوسع غربا بقوتهم الكبيرة على حساب الدولة الخوارزمية التي كان التوسع طابعها المميز لها في تلك المدة، ودمر عاصمتها بلاساغون[8].

المبحث الثاني: الدولة الخوارزمية (470هـ/1077م-616هـ/1219م) [9] والمغول

التعريف بالدولة الخوارزمية

أسسها آنوشتكين أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه، جلال الدين أبو الفتح (ت485هـ/1093م) (فوزي، 1983، ص81؛ سبول مر ب، 1969، ص599)، وقد ولاه ملكشاه على خوارزم سنة (470هـ/1077م)؛ لكفاءته، وتوارث أبناؤه وأحفاده من بعده إدارة هذا الإقليم، فعند وفاته سنة (490هـ/1097م) خلفه ابن قطب الدين محمد الذي حمل لقب شاه لكن ظل خاضعا لسلطان سنجر (حسين، 1975، ص99؛ محمود، والشريف، 1966، ص614) ومواليا له، وكذلك ابنه علاء الدين أتسز الذي حكم خوارزم بعد وفاة أبيه سنة (521هـ/1127م)، فقد بقي مخلصا لسنجر يشاركه في حملاته العسكرية ومهامه الأخرى مدة من الزمن ثم حركه الطمع نحو الاستقلال في خوارزم منذ سنة

(7) **الدولة القره خطائية:** اسستها مجموعة من القبائل التركية القادمة من شمال الصين، واستقرت في بلاد ما وراء النهر سنة (512هـ/1118م)، واتخذت مدينة بلاساغون عاصمة لها، ثم بسطت سيطرتها على القبائل التركية المجاورة (حسين، 1975م، ص98-99؛ العبود، 1978، ص18-25).

(2) **بلاساغون:** قرب كاشغر، من بلاد الترك وراء نهر سيحون (الحموي، (د.ت)، ج1/ص476).

(9) نسبة إلى خوارزم في بلاد ما وراء النهر، نهر جيحون، الذي ذمر عاصمتها المنصورة فانتقل أهلها إلى كركاغ، أو الجرجانية (الحموي، (د.ت)، ج2/ ص295 – 297).

(530هـ/1135م)، وعند ذلك بدأت مشاكله مع سنجر تتفاقم،[10] وكان أول صدام بينهما سنة (533هـ/1138م)، لم يثبت فيها جيش اتسز، وفر هو نفسه منها بعد مصرع ابنه، لكنه عاد بعد انسحاب سنجر (ابن الأثير، 1975، ص364) محرضا معه، القرة خطائين ويطمعهم في مملكة السلطان سنجر، للانتقام منه (ابن الأثير، 1975، ج2/ص9)، فكان رد فعل السلطان سنجر قاسيا فيه أخطاء، وأسفر اللقاء مع أتسز والقره خطائين عن خسارة المعركة شرق نهر جيحون سنة(536هـ/1142م) قرب سمرقند،[11] وبالتحديد في قطوان،[12] وقد فر سنجر إلى ترمز،[13] ومنها إلى بلخ.[14]

دخول المغول أرض الخوارزميين:

كان جنكيز خان سياسيا بارعا مع ما فيه من قسوة كمحارب، ولذلك حرص على مسالمة خوارزمشاه علاء الدين محمد الذي عرف عنه القسوة المفرطة، وهو من ذوي الأطماع والتوسع على حساب جيرانه، لا يقل رغبة في وراثة الممالك عن جنكيز خان الذي وصل نفوذه الى حدود مملكته بجهوده العسكرية الخاصة، هذا الموقف الحذر من الجانبين انتهى ظاهريا إلى عقد معاهدة تجارية بينهما والى تبادل الرسل والسفراء سنة (615هـ/1218م)، في أجواء لم تخل من توتر وانفجار مرتقب (الصياد، 1960، ص46).

لقد كان خوارزمشاه، عالما بحركة المغول، وتطلعات جنكيز خان، محيطا بأعماله الحربية في الصين، حذرا من نواياه، ولذلك أرسل إلى المغول وفدا، للتأكد مما سمع من أخبار لم يسره منها انتصار المغول على دولة مثل الصين، وقد عاد الوفد إليه بتقرير مروع لأفعال المغول المشينة، والوحشية في الأراضي والديار التي مروا بها (الصياد، 1960، ص6-47).

وفي سنة (616هـ/1219م)، انتهت الأمور الحذرة من الجانبين برعونة، عدها المغول سببا وجيها و مبررا لغزو بلاد خوارزمشاه، ذلك الخطأ، قام به والي خوارزمشاه في مدينة أوترار الحدودية المتاخمة لبلاد المغول في تلك المدة، حينما قتل مجموعة من أتباع جنكيز خان بأمر من خوارزمشاه، وزاد الأمر سوءا معاملة رسل جنكيز خان بصورة سيئة عمدا، كان ذلك مبررا لجنكيز خان لغزو بلاد خوارزمشاه بدءا

---

(10) سنجر بن ملك شاه سلطان السلاجقة (465هـ- 485هـ/1072-1092م)، تسنم السلطة بعد أبيه، في الحادية عشرة من عمره سنة 490هـ، وجعل معه مشرفا أو معلما، من المماليك (ابن الأثير، 1975، ج8/ص183؛ ابن خلكان، 1949، ج2/ص148).

(11) **سمرقند:** قصبة الصغد في بلاد ما وراء النهر (الحموي، (د.ت). ج4/ص375).

(12) **قطوان:** من قرى سمرقند في بلاد ما وراء النهر (الحموي، (د.ت)، ج3/ ص246-249)

(13) **ترمز:** مدينة على الجانب المشرقي لنهر جيحون (الحموي، (د.ت)، ج2/ص26-27).

(14) **بلخ:** من مدن خراسان الكبيرة (الحموي، (د.ت)، ج1/ص 479).

بسمرقند فاحتلها ثم إلى بخارى،[15] فأباد أهلها بعد أن استولى عليها ثم أحرقها، وعبر نهر جيحون بجيشه كله، فلم يشعر خوارزمشاه إلا وقد صاروا معه على أرض واحدة (ابن الأثير، 1975، ج9/ص324).

لقد فوجئ خوارزمشاه بالمغول، فلم يسعه إلا الفرار من أمامهم إلى نيسابور[16]، فتبعه المغول إليها دون أن يتوقف للنهب والسلب والتدمير والقتل كعادتهم، بل جدوا في المسير وراءه؛ ليقطعوا عليه أي فرصة لجمع شتات جيشه، والاستعداد لهم، مما اضطره إلى الانسحاب من مكان لآخر فكان كلما رحل من مكان نزلوا فيه بعده مباشرة حتى أنهكوه، فاضطر إلى اللجوء منهزما من همدان[17] إلى جزيرة في بحر قزوين[18] فتركوه، حيث مات غما من سوء إدارته بعد شهر من وصوله إلى الجزيرة سنة (617هـ/1220م) (ابن الأثير، 1975، ج9/ص332- 335)، وخلفه في ادارة ما تبقى من بلاده ابن جلال الدين منكوبرتي (ابن الأثير، 1975م: 74).

ونجد في كلام ابن الأثير وصفا يثير الأسى والحزن لما حل بالناس من خوف ورعب، كان سببه القوة والقسوة المفرطة التي مارسها الغزاة ضد أهل البلاد التي دخلوها، ويلقي ابن الأثير باللائمة على خوارزمشاه، الذي أسرف في قتل من حوله من الملوك والأمراء لينفرد بالسلطة في جميع البلاد، ولم يبق فيها من يمنع دخول المغول، أو يحميها من قسوتهم، أما الخليفة العباسي المستعصم بالله، فهو الآخر، لم يكن مؤهلا للقيام بما تتوجبه الظروف من الاستعدادات المطلوبة لحماية دولته. (ابن الأثير، 1975، ج9/330-360).

واصل المغول تقدمهم بعد هزيمة علاء الدين محمد، خوارزشاه، وجاسوا في البلاد يخربون وينهبون، ويحتلون، فاستولوا على مازندران[19] والري[20] وهمدان ثم اتجهوا صوب أذربيجان[21] فملكوا مراغة[22]

(15) **بخارى:** من مدن بلاد ما وراء النهر الكبيرة، عاصمة السامانيين، وقد فتحها عبد الله بن زياد على عهد معاوية بن أبي سفيان، وأعاد فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي سنة (87هـ/705م) (الحموي، (د.ت) ج1/ص352-357).

(16) **نيسابور**: من بلاد خراسان فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وأعيد فتحها في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وتعرضت لغزو المغول، او التتار فخربوها سنة 618هـ (الحموي، (د.ت)، 5ج/331-334).

(17) **همدان:** إلى الغرب من نيسابور، فتحت سنة (24هـ/644م)، وهي من مدن اقليم الجبال الكبيرة (الحموي، (د.ت)، ج5/ص410- 417).

(18) **قزوين:** افتتحها البراء بن عازب سنة ٢٤هـ، صلحا، وأسلم أهلها، ثم صارت مغزى أهل الكوفة (الحموي، (د. ت)، ج4/ص342 – 344).

(19) **مازندران:** الاسم الثاني لولاية طبرستان وتضم عددا من المدن منها: دهستان وجرجان واستراباذ وآمل، وغيرها وتقع بين الري وقومس والبحر (الحموي، (د.ت)، ج4/ص13، ج5/ص41)

وغيرها، ثم عرجوا على بلاد الكرج في شمالي أذربيجان فخربوها وواصل قسم منهم التوجه شمالا إلى بلاد القفجاق في روسيا بقسوة أوشكت على إبادة مقاتلي تلك البلاد، واستمروا في هجماتهم العنيفة المدمرة للمدة من (616هـ/1219م) إلى (620هـ/1120م)، ينشرون الفوضى والخراب ويقتلون الناس. [23]

جلال الدين منكوبرتي والمغول:

كان موت خوارزمشاه علاء الدين محمد سنة (617هـ/1221م) منهزما في تلك الجزيرة سببا لانتقال السلطة إلى ولده جلال الدين منكوبرتي (ابن الأثير، 1975، ج9/ص330 – 340)، الذي بدأ الكفاح ضد المغول لاستعادة أرض والده، فغادر الجزيرة التي كان فيها مع والده في بحر قزوين ونزبر خوارزم (سنه 617هـ/1221م)، وبدأ بتجميع جيش له ممن تبقى من أنصار أبيه(ابن الأثير، 1975، ج9/ص355 – 356، الوردي، 1975، ج2/ص220–225)، كان جلال الدين متكبرتى رجلا جريئا، شديد المراس، قوي الشكيمة، أصلب عودا من أبيه، لكن كان فضا سيء السياسة، يفتح –على نفسه– جبهات متعددة، يخلق الاعداء، ويبعد الأصدقاء، وبنزوله بر خراسان، يكون قد ألقى نفسه في وسط جموع المغول، محاولا تبديدها بعد أن صلبت شوكتها. نزل جلال الدين من خوارزم إلى غزنة،[24] واتخذها قاعدة له، جمع فيها جيشا بلغ تعداده ستين ألفا من عساكر أبيه وغيرهم، وقد تمكن هذا الجيش من البدء بالكفاح ضد المغول لاستعادة أراضي والده، وتمكن من إلحاق الهزيمة الأولى بجيش مغولي من اثني عشر ألفا في معركة بروان (618هـ/1221م)، وألحق بالمغول هزيمة أخرى بقيادة جغتاي (جغطاي) أحد ابناء جنكيز خان، قبل ان تدب الفرقة بين قادة جيشه، ففارقه بعضهم، وكانت المحاولة الثالثة للمغول في التصدي لجلال الدين منكبرتي بقيادة جنكيز خان نفسه، ومع محاولة جلال الدين منكبرتي تلافي لقاء جنكيز خان، لحين اعادة تكوين جيشه ولم شتات تفرقه ورص صفوفه إلا أن جنكيز خان لم يمهله، فتابع ملاحقته إلى الهند، وعلى ضفاف نهر السند دارت موقعة بين الجانبين، هزم فيها جلال الدين منكبرتي وجيشه، فهرب

---

(20) **الرى:** من أمهات البلاد، فتحها المسلمون سنة 19 أو20هـ في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ودمرها المغول سنة (617هـ/1220م) (الحموي، (د.ت)، ج3/ص116– 122).

(21) **أذربيجان:** وعاصمتها تبريز، فتحت صلحا في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فتحها حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) صلحا، وأعاد فتحها الوليد بن عقبة سنة (25هـ/645م)، على ما صالحهم عليه حذيفة بن اليمان (الحموي، (د.ت)، ج1/ص128 – 129).

(22) **مراغة:** من مدن أذربيجان المشهورة (الحموي، (د.ت)، ج5/ص93).

(23) **الكرج:** جيل من الناس كانوا يسكنون مدينة بين همدان وأصبهان وكانوا نصارى (الحموي، (د.ت)، ج4/ص446).

(24) **غزنة:** قصبة بلاد زابلستان، في شرق خراسان بينها وبين الهند (الحموي، (د.ت)، ج4/ص201).

إلى الهند، ثم انتقل إلى كرمان،[25] أما جنكيز خان فاحتل غزنه وخربها (الدوري، 1975، ج2/ص202-203)، ثم عاد إلى موطنه الأصلي في منغوليا(الصياد، 1960م: 105).

أما جلال الدين منكبرتي، فقد التف حوله بعد نجاته من قفزته الشهيرة حوالي أربعة آلاف من المقاتلين الذين نجوا من سطوة جنكيز خان، فسار بهم من الهند إلى كرمان سنة (622هـ/ 1225م)، ثم إلى أصفهان[26] وفارس[27] منتزعا هذه الاقاليم من أخيه غياث الدين الذين وليها من أبيه، وقام بمهاجمة الأماكن التي يديرها حكام محليون في خراسان.[28]

وما زندران والري وبلاد الجبل فانتزعها منهم، وقصد الأحواز[29] (الصياد، 1960، ص210-212)، وحاصرها ولكنه لم يستطع فتحها، ثم توجه شمالا سنة 622هـ، ونزل في بعقوبة،[30] فنهب وسلب وأحدث فوضى في المنطقة كلها، ثم غادرها إلى أذربيجان، فاستولى عليها، مما جعله يدخل في صراعات مع سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، واحتك كذلك بالأيوبيين[31] (ابن الأثير، 1975، ج9/ص255-256)، ونازل بعض مدنهم ومنها أخلاط، وأخذ بعض بلاد الكرج[32] في الشمال، وهناك اشارة الى محاولته العودة لمواجهة المغول، لكن فشل في مسعاه وانهزم أمامهم وبقي هاربا ملاحقا منهم حتى قتل في إحدى قرى ميافارقين على يد أحد سكانها سنة (629هـ/1231م) (ابن الأثير، 1975، ج9/ص256؛ الوردي، 1929، ج2/ ص215)، فانتهت بموته دولة الخوارزميين.

---

(25) كرمان، بين فارس ومكران، وسجستان وخراسان، فتحت في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (الحموي، (د.ت)، ج2/ص454-456).

(26) **أصفهان، أو أصبهان:** من نواحي بلاد الجبال فتحت سنة (23هـ/643م) (الحموي، (د.ت)، ج1/ص210)

(27) **فارس:** ولاية واسعة، حدودها من أرجان شرق العراق إلى السند في مكران (الحموي، (د.ت)، ج4/ص226-228).

(28) **خراسان:** بلاد واسعة، إلى الشرق من العراق فتحت سنة (31هـ/651م) في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، (الحموي، (د.ت) ج2/ص350).

(29) **الأحواز:** اقليم إلى الشرق من البصرة، جنوبي إيران. لم يذكره ياقوت الحموي، وذكر مثله جنوب بغداد (الحموي، (د.ت)، ج1/ص117).

(30) **بعقوبة:** مركز محافظة ديالى، شرقي بغداد على طريق بغداد-خراسان، على نهر ديالى (الحموي، (د.ت)، ج1/ص453).

(31) **الأيوبيون:** الدولة الأيوبية، اسمها صلاح الدين الأيوبي سنة (564هـ/1168م) في مصر ثم امتدت إلى اليمن وبلاد الشام. الكامل في التاريخ، ابن الأثير: أحداث السنوات (558-564هـ/1162-1168م) (ابن واصل، 1957، ج3/ص4-110).

(32) **اخلاط:** فتحها عياض بن غنم صلحا من مدن أرمينيا الوسطى (الحموي، (د.ت)، ج2/ص381؛ ابن خلدون، 1949، ج5/ص168).

المبحث الثالث: المغول والخلافة العباسية

واصل المغول غزواتهم لخراسان والري وما جاورها، فأرهقوا العباد وخربوا البلاد ونهبوها بغزوات متعددة سريعة، كثيرا ما انتهت بانسحابهم شرقا، وقد ظفر بهم جلال الدين منكوبرتي عدة مرات (ابن الأثير، 1975، ج9/ص276؛ ابن الوردي، 1929، ج2/ص215)، ومع ذلك لم يغير جلال الدين سياسته نحو الأمراء والملوك المجاورين له من المسلمين ولم يتمكن هؤلاء الملوك والأمراء من إقناعه بتوحيد جهودهم للوقوف بوجه المغول، بل إن الخليفة العباسي لم يقم بمحاولة جدية في هذا السبيل (الصياد، 1960، ص117)، ويظهر من الأحداث وتطورها أن جلال الدين منكوبرتي كان يمكن أن يقف بوجه المغول؛ لما كان يتمتع به من صلابة وقسوة وعدم اليأس، ولذلك كانت محاولاته متكررة للوصول إلى هدفه، ولذلك نجده سنة (628هـ/1230م)، وحده في مواجهة المغول، مع إنه وجه دعوة لأمراء وملوك الاطراف للوقوف معه صفا واحدا بوجه الخطر المغولي قائلا:((إن جيشا جرارا من عساكر التتار كأنه النمل والثعابين من حيث الكثرة والقوة، قد تحرك نحونا، فإذا ترك وشأنه فسوف لا تصمد أمامه القلاع والأمصار)) (الصياد، 1960، ص112-113).

لقد عد جلال منكوبرتي نفسه ومن معه من الجند سدا بوجه المغول وطالب من حوله من الملوك والأمراء بالمدد، وحثهم على الاستجابة لطلبه، وخوفهم عاقبة التريث أو الاقتناع، ولكن نداءه جاء متأخرا، فلم يلق أذنا صاغية، والأمر لا يعدو أحد أمرين:

إما نهاية بمنكوبرتي، فتركوه وحيدا في ساحة يتفوق فيها المغول على منكوبرتي ومن معه، أو أن الخليفة وملوك وأمراء الأطراف كانوا يعتقدون أن المغول لا يمكن أن يصلوا إلى بلادهم، فإذا قضوا على جلال الدين منكوبرتي تخلصوا من اعتداءاته المتكررة وأطماعه التي لا حد لها، فينصرفوا الى مشاكلهم ومنافساتهم المحلية بعيدا عن منكوبرتي والمغول (القزاز،1971، ص94-95).

لقد تبعت هزيمة جلال الدين منكوبرتي حملات من المغول على البلاد المجاورة للعراق من شرقه وشماله، وبهذا أصبحت الخلافة العباسية في مواجهة مباشرة مع الغزوات المغولية (الصياد، 1960، ص17؛ القزاز، 1971، ص94-95)، ومعلوم أن الخلافة العباسية كانت محدودة القدرة المادية والعسكرية والإدارية، من السيطرة البويهية التي لم يبق منها للخلافة العباسية حول ولا طول، وكان مجيء السلاجقة أقل وطأة على الخلافة كمؤسسة دينية، أما غير ذلك، فالأمر سواء، مما يعني أن ما أعده الخلفاء العباسيون من جيش لم تتح له الفرصة لتثبيت أركانه وأسسه، ولم يتم كما يجب مع الجهود الايجابية التي بذلها الخلفاء المتأخرون، مثل: المسترشد(512هـ/1118-529هـ/1135م)، والراشد (529هـ/1135م-

530هـ/1136م)، والمقتفي (530هـ/1136م–555هـ/1160م)، لكن الخليفة الحالي، المستنصر بالله.[33] بإمكاناته المحدودة، وسلطته الدينية لم يستطع توحيد الجبهة التي يمتلك سلطتها الروحية ولم يؤد دوره كما يجب، مع ما ذكر من استخدامه عساكر لم يستخدمها أبوه ولا جده (ابن الأثير، 1975، ج9/ص284؛ ابـن الـوردي، 1929، ج2/ص220– 225؛ الصـياد، 1960، ص117–118؛ السـيوطي، 1969، ص461).

تعرض المغول لحدود العراق منذ سنة (618هـ/1221م)، وأصبحوا منذ سنة (632هـ/1234م) أكثر قربا إلى الأراضي العراقية، فهاجموا أربيل سنة (632–633هـ/1221–1222م)، وواصلوا تقدمهم نحو بغداد حتى وصلوا مدينة سامراء، ثم عادوا منها سنة 634هـ (ابن الأثير، 1975، ص461).

وكان رد فعل المستنصر بالله، الخليفة العباسي، معقولا وإيجابيا إلى حد ما، وان كان متأخرا وغير كامل الفعالية، فقد قام بإعلان الجهاد إثر انعقاد مؤتمر للعلماء المسلمين الذين أفتوا بأن الغزو في سبيل الله خير من الحج الى بيت الله، فتجمع للخلافة جيش كبير، تمكن به من دحر قوة المغول التي وصلت إلى سامراء – كما تقدم– سنة (634هـ/1236)، وكانت الموقعة قرب تكريت، وتم فك أسر عدد كبير من المسلمين، كانوا قد وقعوا في أيدي المغول، وعمد الخليفة بعد ذلك إلى إقامة الاستحكامات حول بغداد خشية عودتهم. وفعلا عادوا في السنة التالية وعند خانقين،[34] تصدى لهم جيش الخلافة، ولكنه انهزم، بعد مقتل عدد من أفراده، وعاد الباقون إلى بغداد، كما رجع المغول أيضا (الصياد، 1960، ص117).

لقد حاول الخليفة المستنصر لم شمل الأمراء الأيوبيين وملاحقة الروم، واستنفر قرب البوادي ودعاهم للجهاد، وأوقف الأموال لتجنيد الجيوش التي بدأت بالتجمع في بغداد حتى بلغ عددهم مئة ألف مقاتل، ثم ذهبت هذه المبادرة أدراج الرياح، إذ إنها لم تحقق ترسخا في مقومات الدفاع، ولم تستكمل الاستعداد الكافي؛ بسبب وفاة المستنصر بالله سنة (640هـ/1242م)، وجاء بعده ابنه المستعصم بالله، أبو أحمد، عبد الله، وله من العمر واحد وثلاثون عاما، ومع ما فيه من ورع وتدين فقد كان لين الجانب سهل العريكة مستضعف الرأي قليل الخبرة بأمور المملكة مطموعا فيه، غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الأمور (ابن طباطبا، 1340هـ، ص333).

لقد كثر الطامعون في الدولة وازداد المتجاوزون عليها، وهذه نتيجة حتمية لغياب السلطة الحدية الجادة، وتمتع الأقرباء في هذه المدة في بغداد بحرية أوسع على حساب الضعفاء فتعددت، الطوائف

(33) **المستنصر بالله:** المنصور، (622هـ–640هـ/1225–1242م)، وقد أشاد المؤرخون بصفاته الطيبة من كرم وشهامة، ومن مآثره المدرسة المستنصرية في بغداد، التي ما بني على وجه الأرض أحسن منها ولا أكثر منها وقوفا (السيوطي، 1969، ص461).

(34) بلدة من نواحي السواد في طريق المسافر من بغداد الى همذان، فيها عين للنفط. (الحموي، (د.ت)، ج2/ص340).

وتنوعت العصابات وازدادت سطوة الاشقياء، وشاركهم في الإساءة إلى الدولة والخلافة أحد أبناء الخليفة، واسمه أحمد حينما تدخل في الصراعات الدائرة بين القوى الإدارية في الدولة، التي تجاذبت السلطة نتيجة ضعف الخلافة والخليفة نفسه، وكل طرف يرغب في تحقيق مصالحه، ومن أسوأ من كان في الساحة الوزير ابن العلقمي الذي كاتب المغول وخان الخليفة كما تذكر المصادر(ابن طباطبا، 1340هـ، ص335)، أو الدويدار، قائد الجيش السيء التصرف وغيرهم (القزاز، 1971، ص94-95).

لقد تحزب الناس لهذا أو لذاك، واستغل المرجفون فرصة جهل المتصرفين في الأمور، وغياب القبضة القوية والعين الساهرة فروجوا للفرقة وأساءوا إلى الدين باستغلاله، فنشبت بغيضة أدت إلى سريان الضعف والوهن إلى بنية الجبهة الداخلية للدولة العباسية، فانحلت ووقفت عاجزة أمام الغزو المغولي الذي اجتاح بلدان الخلافة.

لقد كان رد فعل الخليفة سلبيا، حينما علم بتحركات المغول ((فلم يحرك ذلك منه عزما ولا آثار عنده همة، بل لم يكن يتصور حقيقة الحال في ذلك)). (ابن طباطبا، 1340هـ، ص335)، ومع ما كان فيه من ضعف، فقد قبل مشورة السيئين من أصحابه، فقام بتسريح الجند وإيقاف صرف رواتبهم واسقاط أسمائهم من الدواوين، مما أدى إلى ترك قسم منهم العراق إلى بلاد الشام، والتحق آخرون بمناطق أخرى، وتشرد آخرون يبحثون عن وسائل للعيش)) (السيوطي، 1969، ص460-461)؛ القزاز، 1971، ص94-95)، وتم إقصاء بعض الشخصيات التي عرفت بقدراتها ورغبتها في تقوية الجيش وقتال المغول، بسبب تخوف بعض رجال الخليفة مثل: الدويدار والشرابي اللذين أصبحا مسؤولين عن أمور الجيش والإدارة في خلافة المستعصم، التي ساءت أحوال بغداد في عهده وكثرت مشاكلها وضعفت حمايتها (الهمداني، 1960، ج1/ص222-223؛ الصياد، 1960، ص140).

هولاكو ونهاية الخلافة العباسية:

آلت الإدارة المغولية بعد جنكيز خان إلى ثلاث خانات، كان ثالثهم منكوخان، الذي تولى منصب الخان الأكبر للمغول سنة (648هـ/1250م)، ومع ما رافق توليه للسلطة من فوضى واضطرابات فقد استطاع أن يمسك بزمام دولته، وقضى على المنافسات الداخلية وعناصرها، ويضع حدا لمنافسيه وخصومه(الصياد، 1960، ص128-132)، ممهدا لمواصلة جهود أسلافه في التوسع على حساب جيرانه، ومتجها نحو الغرب مستعينا بكفاءة ومقدرة إخوته في قيادة عدد من الجيوش في اتجاهات شتى لاحتلال العالم ووقع اختياره على أخيه هولاكو لقيادة الحملة المتجه غربا إلى أرض الخلافة العباسية سنة (649هـ/1251م). (الهمداني، (د.ت)، ج1/ص222-227؛ الصياد، 1960، ص140) وضم له كثير

من القوات، واتخذ استعدادات شتى لنجاح حملته، وعين له حرسا خاصا، وجعل في معيته أسرا متخصصة باستعمال ادوات هدم الاسوار مثل: المنجنيقات وزراقات النفط، وعزز القطعات العسكرية بمرشدين سيرهم أمام الحملة؛ لتمهيد الطرق وتسويتها لتسهيل حركة المقاتلين عبر طرق غير مألوفة للوصول إلى أهدافها بسرية تامة، وبث عددا كبيرا من العسس أو الجواسيس في البلاد التي ستمر بها الحملة من عاصمة المغول إلى ضفاف نهر جيحون؛ لتلافي الكمائن والمخاطر ان وجدت، وبعث مختصين لنصب الجسور على الأنهار العميقة التي تعترض خط سير الحملة، فضلا عن ضمان التموين الكافي لها من البلاد التي ستمر بها. وهكذا سارت الحملة بقيادة هولاكو على هذه التعبئة نحو غايتها، وهي الخلافة العباسية، وبلدان الغرب سنة (650هـ/1252م) (الهمداني، (د.ت)، ج1/ص222-228).

لقد سارت تلك الحملة مسافات بعيدة واستمرت مدة خمس سنوات حتى وصلت الى همدان سنة (650هـ/1252م) (الهمداني، (د.ت)، ج1/ص242)، وواصل هولاكو سيره غربا، وقام خلال مسيرته تلك بالقضاء على الدولة الاسماعيلية، وهدم قلاعها سنة (654-655هـ/1256-1257م)، بعد مئة وإحدى وسبعين سنة بثت في انحاء العالم الإسلامي فكرا باطنيا مريبا، وقام أمراؤها بجرائم كثيرة يندى لها جبين كل من حمل الدين الإسلامي عقيدة وارتضاه منهجا وأسلوبا (الهمداني، (د.ت)، ج1/ص230-238، 262).

سقوط بغداد(656هـ/1258م):

عانت بغداد قبل وصول التتار من طوفان كبير أغرق الكثير من الأراضي الزراعية، وأتلف محاصيلها ودمر العديد من دور المدينة(الهمداني، (د.ت)، ص262؛ أبو شامة، (د.ت)، 198)، ونتيجة لضعف السلطة، ومحاباة رجال الدولة الذين كانوا حول الخليفة لهذه الفئة من الناس أو تلك، فقد تفاقمت المشاكل، وتحولت إلى صراعات في الأحياء والمحلات، وانحاز الجند إلى فئة ضد الأخرى، تغذيهم الفرقة والانقسام والطائفية والفئوية؛ نتيجة لسوء القيادة وقلة إحساسها بالمسؤولية، فأدى ذلك إلى تمزق عناصر إدارة الدولة التي كانت تمتلك مقادير الأمور بعيدا عن الخليفة العباسي المستعصم (640هـ/1242م-656هـ/1258م) الذي لم يعد له أي دور فعلي في ادارة الأزمة، بل كان الدور الفاعل والسيء فيها إلى ابن الخليفة أحمد، والدويدار وآخرين، ممن نسوا أو تناسوا مسؤوليتهم الحقيقة وانعموا في خلافات داخلية على المصالح الخاصة، فأضعفوا الجيش وشتتوا الجبهة الداخلية (اليونيني، (د.ت)، ص85؛ القزاز، 1971، ص208-209)، وزاد أمر هذه الفتنة سوءا وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي الذي قام بأسوأ عملية خيانة بموالاة المغول ومكاتبتهم لغزو بغداد لهم، وقد أشارت المصادر العربية إلى تلك الحقيقة؛ فقد أشار أبو شامة إلى أن عملية استيلاء المغول على بغداد تمت بمكيدة دبرت مع وزير بغداد ابن العلقمي. (أبو شامة، (د.ت)، ص198)، وأكد اليونيني أن ابن العلقمي كاتب المغول واستدعاهم، ثم قام بإقناع

الخليفة بالتقليل من عدد جند الخلافة وتسريح الجند، وحذف اسمائهم من الديوان، وقام ابن العلقمي بمنع وصول الأخبار المحذرة للخليفة العباسي من الخطر المغولي، (اليونيني، (د.ت)، ص85)، مما أدى ذلك إلى ضعف الجبهة الداخلية، واضطراب العسكر، فكثرت الاعتداءات وزاد عدد اللصوص والشطار، فانهارت معنويات الناس، وأصاب المدينة ذعر وخوف وفوضى (القزاز، 1971، ص209).

وفي هذه الظروف السيئة بدأ هولاكو بمراسلة الخليفة من همدان، مطالبا إياه بالاستسلام وهدم أسوار مدينته وردم خنادقها والحضور لمقابلته، ولم يسع الخليفة إلا رفض ذلك، وتوعد هولاكو بإثارة المسلمين ضده إذا تجرأ على إيذاء الخلافة وطالبه بالعودة من حيث أتى. (الجميلي، (د.ت)، ص162، الصياد، 1960، ص118).

لقد كان موقف الخليفة مشرفا حينما رفض الاستسلام، ولكنه جاء متأخرا، ولم يكن يرتكز على قوة فعلية رادعة، وهو أمر لم يكن خافيا على هولاكو الذي اعتمد في أخبار الدولة العباسية على ابن العلقمي وبطانته، فضلا عن أن الخليفة أضعف من أن يتصدى للمغول الذين أمضوا خمس سنوات في طريقهم إلى بغداد، وقد وصلوا إلى همدان، فبقي يحرض الخليفة المسلمين,

إن اهمال الناحية العسكرية وما يترتب عليها لا يتحمل الخليفة وحده مسؤوليتها، بل معه رجال دولته من وزراء وحجاب وأمراء جيش وحاشية، وعلى عاتقهم يقع عبء ما حل بالبلاد، فقد أساءوا تقديم النصح للخليفة، وهونوا عليه خطورة الواقع، بل ثبطوا همته، وجندوا له الاستسلام، ناهيك عن صراعاتهم الشخصية التي مزقت جهاز الدولة وصعبت عملية السيطرة على الأمور (القزاز، 1971، ص308-309).

وأسفرت الرسائل المتبادلة بين هولاكو والخليفة عن تحرك هولاكو صوب بغداد ومحاصرتها بجيش بلغ تعداده مئتي ألف جندي، نزلوا في الناحية الشرقية من بغداد، وقد حاول جيش الخليفة بقيادة مجاهد الدين أيبك الدويدار، التصدي لهولاكو وجيشه، وقد حقق عدة انتصارات في البداية على بعض قطعات المغول، إلا أنه عاد منسحبا الى داخل بغداد، وقد أحكمت حصونها، وتقدمت جيوش المغول نحوها، فحاصروها حصارا محكما في 22 محرم 656هـ.

وبدأ المغول رمي بغداد بالحجارة بمنجنيقات عملاقة، وأحجار جلبت من جبال حمرين، ثم استعملوا جذوع النخل في منجنيقاتهم بعد تقطيعها، لتخريب الأسوار وإيذاء الناس وهدم مساكنهم، وفي 4 صفر (656هـ/1258م)، خرج الخليفة المستعصم من بغداد مستسلما بعد أن أعيته الحيلة فاحتل هولاكو بغداد، وقتل الخليفة العباسي وابنه الأكبر، أحمد، وبعض خاصته.

وقد أشارت المصادر العربية في تلك المدة إلى وحشية المغول في قتل الأهلين وتدمير جوانب المدينة الحضارية. (القزاز، 1971، ص308-309)، ونقلت بإسهاب أخبار ذلك الحادث المؤلم الذي أنهى

الخلافة العباسية في بغداد بعد خمسمئة وأربعة وعشرين سنة من التواصل الحضاري العربي الإسلامي الذي رفد الحضارة الإنسانية بالكثير من العطاء والانجازات والقيم.

الخاتمة:

أشرت في دراستي إلى الآتي:

1- المغول، أو المغل، أو التتار، من القبائل التركية التي انطلقت من هضبة منغوليا نحو الجنوب، فاحتلت مساحات واسعة من الصين قبل أن تتجه غربا لاكتساح الممالك والدول تخلصا مما حاق بها من حاجة، وما عانته من جوع، وما واجهته من ظروف جوية قاسية، فضلا عن التصحر والبرد الشديد والحر المزعج.

2- لم تكن للمغول دولة، وليس لهم حضارة، انما كانوا أسرا وقبائل همجية، ذات طبيعة بدوية، تسعى وراء الكلأ لرعي قطعان الماشية، وتمتهن الصيد، لسد الرمق، تغزو وتسرق وتقتل لسبب أو لغير سبب.

3- لم تكن لهم مواد (تكفيهم)، ولا أماكن معينة تحميهم؛ ولذلك لم تكن هذه القبائل مترابطة فلا حاكم، ولا ملك، إنما هي الحياة البهيمية، فالسيطرة للأقوى والدنيا لمن غلب.

4- ألف المغول القتال ومرنوا عليه فعاشوا آلامه وآماله، لأجل مال وقطعان وعدوان وانتصار، وكانت أولى تجمعاتهم بقيادة جنكيز خان الذي حقق أول انتصار لمن تحت امرته من هذه القبائل على الصين، إذ تقدم في أرضها فاحتل بكين سنة (612هـ/1216م).

5- قضى على القره خطائين سنة (615هـ/1219م)، واصطدم بالخوارزمين سنة (616هـ/1220م)، فحقق انتصارات أدت إلى هرب خوارزمشاه وموته سنة (617هـ/1221م) في جزيرة في بحر قزوين.

6- واصل المغول تقدمهم غربا ينهبون ويسلبون ويدمرون ويقتلون، في جميع الاتجاهات حتى استولوا على أقاليم شتى، دون أن يقف بوجههم سهل أو جبل، ولم يصدهم مناخ أو أي ظرف قاس، ولم يقف بوجههم متحد.

7- ظلت الحرب سجالا بين المغول والخوارزميين، حتى قاد جنكيز خان نفسه جيشا، دمر في وجهته وهجماته كل ما مر به من قلاع وحصون ومدن، قبل أن يعود الى موطنه في قره قورم.

8- ظل جلال الدين منكوبرتي وحده في الساحة الإسلامية الخوارزمية يقارع المغول ويصارعهم كما فعل أبوه من قبل، ولم تسعفه الممالك أو الإمارت حوله، لما كان بينه وبينهم من مشاحنات وعداوات كان هو سببها، لما فيه من أطماع توسعية على حساب الغير، ولذلك كانوا منه على حد الشماتة فيه، لما جنته يداه.

9- انفرد المغول بجلال الدين منكوبرتي، وكان رد فعل المسلمين حوله مخيبا لآماله، وضاعت دعوته لهم إدراج الرياح، ولم يفطنوا لنوايا المغول التي لم تفرق بين الخوارزميين وغيرهم، وكانت وفاة

جلال الدين منكوبرتي أو قتله، غيلة نهاية الدولة الخوارزمية في بلدان المشرق، وقد دمرها المغول، مدنها، وقصباتها، و شردتها، وتفرغ بعد ذلك للقضاء على الخلافة العباسية.

10- توجه المغول صوب العراق سنة (618هـ/1222م)، فهاجموا أربيل سنة (632هـ/1235م)، ووصلوا سامراء سنة (634هـ/1237م)، وعند ذلك اعلن الخليفة العباسي الجهاد ونازلهم في تكريت فأوقع بهم خسائر فادحة سنة (634هـ/1237م)، وحرر عددا كبيرا من الأسرى، وانسحب المغول شرقا إلى همدان.

11- كان الصدام الثاني لجند الخلافة مع المغول في خانقين، فانهزم جيش الخلافة، عائدا إلى بغداد وانسحب المغول إلى همدان، مستجمعون قواهم لإعادة الكرة على بغداد.

12- باءت جهود المستنصر بالله العباسي بالفشل لردع المغول، مع أنه جمع أكثر من مئة ألف مقاتل وذلك لموته سنة (640هـ/1243م)، فخلفه ابنه المستعصم بالله.

13- كان المستعصم بالله ضعيفا من الناحية السياسية والادارية، مع ما كان فيه من الورع والتدين، أدى ضعفه وتسامحه، أو تساهله إلى طمع من حوله فيه، لتحقيق مكاسب مالية أو مصالح فئوية على حساب دولة الخلافة التي أحاطت بها قوى شريرة من داخلها ومن خارجها، فأحدقت بها الاخطار من كل جانب.

14- كان رد فعل الخليفة الجديد سلبيا حينما علم بتحرك المغول، بل واستجاب لنصائح من حوله من ذوي النوايا السيئة فسرح كثيرا من الجند؛ لعجزه عن دفع مرتباتهم، وشطب آخرين من ديوان الجند، فتفرق جيشه، وانقض من حوله، وفي الجانب الآخر جاءته رسل المغول تطالبه بالاستلام مع هدم الأسوار وردم الخنادق، وتدعوه للقدوم إليهم.

15- رفض الخليفة كل ذلك، فكان رده مشرفا، في حين كان ابن العلقمي، يهون عليه أمر الاستسلام وتسليم بغداد لهولاكو، ويهون أمر الخليفة على المغول مستحثهم في اقتحام بغداد، واحتلالها.

16- حاصر هولاكو بغداد وضيق عليها، رماها بالمجانيق، وهدم أسوارها، ودورها وأحرقها فلم يسع الخليفة إلا بالاستسلام.

17- خرج الخليفة مستسلما ليلقى حتفه بيد المغول مع أكبر أبنائه وبعض خاصته.

18- ذاق ابن العلقمي ما ذاقه الخليفة وخاصته، فذهب غير مأسوف عليه ضحية عمالته وخيانته فكان أول من قتله المغول، وهو يقدم إليهم فرحا بدخولهم، فكان جزاؤه جزاء سحبان.

19- وهكذا انتهت الدولة العباسية في العراق بعد أكثر من خمسة قرون وعقدين ونيف من السنين قدمت فيها إلى الحضارة العالمية إنجازات وعطاءات لاتزال محل اعتزاز وفخر.

ارجو أن أكون قد وفقت في الحديث عن التحدي المغولي للخلافة الإسلامية ودوره في اسقاط كثير من الدول والممالك والإمارات في الشرق الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على من أبي الكرم (ت630هـ). (1975). الكامل في التاريخ. (ج2، 8، 9)، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر. بيروت.
2. ابن الوردي، زين الدين أبو حفص، عمر بن مظفر (ت749هـ). (1929). تاريخ ابن الوردي. ج2. ط2. مطبقة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر.
3. ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ). (1949). وفيات الاعيان. ج2. مكتبة النهضة المصرية. (د.م).
4. ابن طباطبا، محمد بن علي (ت199هـ). (1340هـ). الفخري في الآداب السلطانية. نشر بعناية توما البستاني. الطبعة الرحمانية. مصر.
5. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (697هـ). (1957). مفرج الكروب. ج3. تحقيق: جمال الدين الشبال. مطبعة جامعة فؤاد الأول. القاهرة.
6. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل(ت665هـ) . (1974). ذيل الروضتين. ط2. بيروت.
7. الأنسيكلوبيديا البريطانية. (1979). طبعة الولايات المتحدة الأمريكية. ترجمة مجموعة من الباحثين.
8. الجميلي، رشيد عبد الله. (1979). حملة هولاكو على بغداد. مجلة المورد. مجلد ٨. العدد٤. بغداد.
9. حسنين، عبد المنعم. (1975). دولة السلاجقة، مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة.
10. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ). (د.ت). معجم البلدان. (ج1-5). دار احياء التراث العربي. بيروت.
11. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ). (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. ج10. طبعة الكويت.
12. ساوندرز، ج. ج. (د.ت). تاريخ المغول. ترجمة الباز العريني. (د.م).
13. ساوندز. (1977). عصر المغول. ترجمة مجموعة من الباحثين. لندن.
14. سبول مر ب: ليدن. (1969). العالم الإسلامي، المدة المغولية. ترجمة مجموعة من الباحثين، بريل.
15. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ). (1969). تاريخ الخلفاء. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط2. مطبقة الفجالة. القاهرة.
16. الصياد، فؤاد عبد المعطي. (1960). المغول في التاريخ. دار الحكم. مصر.
17. العبود، نافع توفيق. (1978). الدولة الخوارزمية. مطبقة الجامعة. بغداد.
18. فهمي، عبد السلام عبد العزيز. (1980). الدولة المغولية في ايران. دار المعارف. القاهرة.
19. فوزي، فاروق عمر. (1983). الخلافة العباسية في عهودها المتأخرة. مطابع دار الخليج. الشارقة.
20. القزاز، محمد صالح. (1971). الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية. مطبقة القضاء. البخن.
21. محمود، حسن أحمد، واشلريف، أحمد إبراهيم. (1966). العالم الاسلامي في العصر العباسي. القاهرة.
22. النسوي، محمد بن أحمد (647هـ). (1953). سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي. تحقيق: حافظ أحمد حمدي. دار الفكر العربي. مصر.
23. الهمداني، رشيد الدين فضل الله (718هـ). (1960). جامع التواريخ. ج1. ترجمة: محمد صادق نشأت وآخرون. دار إحياء الكتب العربية مصر.
24. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح، موسى بن محمد(726هـ). (1954). ذيل مرآة الزمان. الطبعة العثمانية. حيدر آباد. الدكن. الهند.

Vol 12, Issue 42, Nov 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

List of sources and references:

1. Ibn al-Athir, 'Izz al-Din Abu al-Hasan 'Ali ibn Abi al-Karam (d. 630 AH). (1975). Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History). (Vol. 2, 8, 9). Dar Sader and Dar Beirut for Printing and Publishing. Beirut.
2. Ibn al-Wardi, Zayn al-Din Abu Hafs, 'Umar ibn Muzaffar (d. 749 AH). (1929). Tarikh Ibn al-Wardi (The History of Ibn al-Wardi). Vol. 2. 2nd ed. Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Press. Egypt.
3. Ibn Khallikan, Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Abi Bakr (d. 681 AH). (1949). Wafayat al-A'yan (Obituaries of Eminent Men). Vol. 2. Maktabat al-Nahda al-Misriyya (Egyptian Renaissance Library). (n.p.).
4. Ibn Tabataba, Muhammad ibn 'Ali (d. 199 AH). (1340 AH). Al-Fakhri fi al-Adab al-Sultaniyya (The Glorious Book on Royal Etiquette). Published by Tuma al-Bustani. Al-Tab'a al-Rahmaniyya. Egypt.
5. Ibn Wasil, Jamal al-Din Muhammad ibn Salim (d. 697 AH). (1957). Mufarrij al-Kurub (Reliever of Distress). Vol. 3. Research by: Jamal al-Din al-Shabal. Fuad I University Press. Cairo.
6. Abu Shama, Abd al-Rahman ibn Ismail (d. 665 AH). (1974). Dhayl al-Rawdatayn. 2nd ed. Beirut.
7. Encyclopedia Britannica. (1979). USA edition. Translated by a group of researchers.
8. Al-Jumaili, Rashid Abdullah. (1979). Hulagu's Campaign on Baghdad. Al-Mawrid Journal. Vol. 8. No. 4. Baghdad.
9. Hassanein, Abd al-Munim. (1975). The Seljuk State. Anglo-Egyptian Library. Cairo.
10. Al-Hamawi, Yaqut ibn Abdullah (d. 626 AH). (n.d.). Mu'jam al-Buldan. (Vol. 1-5). Dar Ihya' al-Turath al-Arabi. Beirut.
11. Al-Zubaidi, Muhammad Murtada al-Husseini (d. 1205 AH). (n.d.). Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus. Vol. 10. Kuwait edition. 12. Saunders, J. J. (n.d.). A History of the Mongols. Translated by Al-Baz Al-Arini. (n.p.).
12. Saunders. (1977). The Age of the Mongols. Translated by a group of researchers. London.
13. Spall, M. B.: Leiden. (1969). The Islamic World: The Mongol Period. Translated by a group of researchers. Brill.
14. Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn Abi Bakr (d. 911 AH). (1969). History of the Caliphs. Edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. 2nd ed. Al-Fajjalah Press. Cairo.
15. Al-Sayyad, Fuad Abd al-Mu'ti. (1960). The Mongols in History. Dar al-Hakam. Egypt.
16. Al-Aboud, Nafi' Tawfiq. (1978). The Khwarazmian State. University Press. Baghdad.
17. Fahmi, Abd al-Salam Abd al-Aziz. (1980). The Mongol State in Iran. Dar al-Ma'arif. Cairo.
18. Fawzi, Farouk Omar. (1983). The Abbasid Caliphate in its Later Periods. Dar Al-Khaleej Press. Sharjah.
19. Al-Qazzaz, Muhammad Saleh. (1971). Political Life in Iraq under Mongol Rule. Al-Qadaa Press. Al-Bakhn.
20. Mahmoud, Hassan Ahmed, and Washlerif, Ahmed Ibrahim. (1966). The Islamic World in the Abbasid Era. Cairo.
21. Al-Nasawi, Muhammad ibn Ahmad (d. 647 AH). (1953). Biography of Sultan Jalal al-Din Mankuburti. Edited by: Hafiz Ahmed Hamdi. Dar Al-Fikr Al-Arabi. Egypt.
22. Al-Hamdani, Rashid al-Din Fadl Allah (d. 718 AH). (1960). Jami' al-Tawarikh. Vol. 1. Translated by: Muhammad Sadiq Nash'at et al. Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyya. Egypt.

23. Al-Yunini, Qutb al-Din Abu al-Fath, Musa ibn Muhammad (d. 726 AH). (1954). Dhayl Mir'at al-Zaman. Ottoman Edition. Hyderabad, Deccan, India.

Vol 12, Issue 42, Nov 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X